# شَرْحُ
# المُنَاجَاةِ العَطَائِيَّةِ
## (٢)

تأليفُ الإمَامِ الرّبانيِّ
أَبِي العَبّاس أحْمَدَ زَرُّوقٍ الفَاسِيِّ
(ت٨٩٩هـ)

باعتناء
نزار حمادي


دار الإمام ابن عرفة
تونس

# شَرْحُ المُنَاجَاةِ العَطَائِيَّةِ (٣)

الكتاب: شرح المناجاة العطائية (٢)

المؤلِّف : الإمامُ أبو العباس أحمد زروق الفاسي (ت٨٩٩هـ)

المعتني به: نزار حَمَّادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة



الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

# شَرْحُ

# المُنَاجَاةِ العَطَائِيَّةِ (٢)

تأليفُ الإمَام الرَّبانِيِّ

أَبِي العَبَّاس أَحْمَدَ زَرُّوقٍ الفَاسِيِّ

(ت٨٩٩هـ)

باٰعتناء

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة

تونس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مَفَاتِيحُ الخير[1]

(وَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) فِي مُنَاجَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِمُلْتَزِمِهَا أَعْظَمُ أَسْبَابِ نَجَاتِهِ، قَالَ سَيِّدِي «أَبُو عَبْدِ اللهِ ابْنُ عَبَّادٍ» فِي ذِكْرِ خَوَاصِّ هَذِهِ المُنَاجَاةِ وَالعَمَلِ بِهَا فِي آخِرِ أُرْجُوزَتِهِ[2]:

وَأَنْتَ يَا خِلِّي وَيَا صَفِيِّي ... إِنِ انْتَهَجْتَ نَهْجَ ذَا الْوَلِيِّ
وَسُقْتَهُ مَسَاقَهُ الجَمِيلَا ... مُنْكَسِرًا وَخَاضِعًا ذَلِيلَا
رَأَيْتَ فِي بَاطِنِكَ الزِّيَادَهْ ... وَالخَيْرَ وَاسْتَبْشَرْتَ بِالسَّعَادَهْ

وَهَذَا نَصُّ المُنَاجَاةِ المُبَارَكَةِ:

(١) زَرُّوق: المُنَاجَاةُ فِي بَابَيْنِ هُما: مَفَاتِيحُ الخَيْرِ، وَخَاتَمُهُ؛ لِأَنَّ الأَوَّلَ تَعَرُّضٌ لِنَفَحَاتِ الرَّحْمَةِ وَتَعْرِيضٌ بِالمَقَاصِدِ، وَالثَّانِي تَصْرِيحٌ بِتَأَدُّبٍ وَتَوَجُّهٍ. (الشرح السابع عشر على الحكم، ص ٤٢٥)

(٢) واسمها: «بُغْيَةُ المُرِيدِ» (ص ١٢٠ ـ ١٢١) تحقيق د. كنيث عبد الهادي هنركمب.

(إِلَهِي، أَنَا الفَقِيرُ فِي غَنَائِي)؛ إِذْ لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ مِنِّي، وَلَا دَوَامُهُ بِي، وَلَا حَقِيقَتُهُ لِي، (فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي) الظَّاهِرِ وُجُودُهُ فِي جَمِيعِ أَمْرِي، القَائِمِ بِي فِي عُسْرِي وَيُسْرِي.

(إِلَهِي، أَنَا الجَاهِلُ فِي عِلْمِي)؛ إِذْ هُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى التَّعَلُّمِ وَوُجُودِ المَعْلُومَاتِ، (فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ جَهُولًا فِي جَهْلِي)؛ إِذْ هُوَ حَالِي اللَّازِمِ لِي فِي كُلِّ الـمَرْسُومَاتِ.

(إِلَهِي، إِنَّ اخْتِلاَفَ تَدْبِيرِكَ) فِي الأَكْوَانِ، (وَسُرْعَةَ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ) فِي وُجُودِ الأَعْيَانِ، (مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إِلَى عَطَاءٍ، وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاَءٍ) فَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ نَاظِرُونَ إِلَى جَمَالِكَ، وَخَائِفُونَ مِنْ سَطْوَةِ جَلَالِكَ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]: يَكْشِفُ كَرْبًا، وَيَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَبْتَلِي قَوْمًا، وَيُعَافِي آخَرِينَ.

(إِلَهِي، مِنِّي مَا يَلِيقُ بِلُؤْمِي) مِنَ الإِسَاءَةِ وَالاجْتِرَامِ، (وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ) مِنَ الإِحْسَانِ وَالإِنْعَامِ. قِيلَ: أَرْجَى آيَةٍ فِي

كِتَابِ اللهِ: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، العَبْدُ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ مِنَ العِصْيَانِ، وَالرَّبُّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِكَرَمِهِ مِنَ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ.

(إِلَهِي، وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَالرَّأْفَةِ بِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي) حَسَبَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ العَقْلُ وَالنَّقْلُ، (أَفَتَمْنَعُنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفِي) هَذَا مَا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِ الفَضْلِ إِنْ سَبَقَتِ العِنَايَةُ، وَمُنِحَتِ الهِدَايَةُ.

(إِلَهِي، إِنْ ظَهَرَتِ المَحَاسِنُ مِنِّي فَبِفَضْلِكَ، وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ) إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ العَبْدُ مِنْ حَيْثُ هُوَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ فَضْلِ مَوْلَاهُ، (وَإِنْ ظَهَرَتِ المَسَاوِئُ مِنِّي فَبِعَدْلِكَ، وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ) وَهِيَ كَوْنِي لَكَ مِلْكًا، وَالمَالِكُ لَا يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ بِظُلْمٍ مَا دَامَ لَهُ المُلْكُ عَلَيْهِ مُطْلَقًا، وَالمُلْكُ حُجَّةُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؛ إِذْ يَقْتَضِي فِيهِمْ عُمُومَ التَّصَرُّفِ بِالتَّكْلِيفِ وَالتَّعْرِيفِ، مِنْ غَيْرِ مُنَازَعَةٍ وَلَا تَوْقِيفٍ.

(إِلَهِي، كَيْفَ تَكِلُنِي وَقَدْ تَوَكَّلْتَ لِي) هَذَا مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا؛

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أَيْ: كَافِيهِ وَنَاصِرُهُ وَوَاقِيهِ، (وَكَيْفَ أُضَامُ وَأَنْتَ النَّاصِرُ لِي) فَلَا جَرَمَ أَنِّي لَا أَسْتَنْصِرُ بِغَيْرِكَ، يَا وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَنَاصِرِي فِيهِمَا، (أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي)، هَذَا الأَمْرُ لَا يَصِحُّ أَيْضًا فِي الوُجُودِ مَعَ مَنْ لَا تَمْنَعُهُ قِلَّةُ مَوْجُودِهِ، وَهُوَ ذُو الـجُودِ.

(هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ) مِنْ حَيْثُ أَمَرْتَ، لَا أَنَّهُ يُجْدِي شَيْئًا فِيمَا قَضَيْتَ، (وَكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ؟!) هَذَا مَا لَا يَكُونُ، إِلَّا بِجَعْلِكَ مِنْ حَيْثُ نَحْنُ، لَا مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، فَإِذَا تَوَسَّلْنَا بِفَقْرِنَا وَقَفْنَا عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِنَا، وَرَجَعَ العَبْدُ إِلَى حَدِّهِ، وَيَبْقَى عَنِ الجَلَالِ مَحُوطًا فِي وُجُودِهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ بِفَهْمٍ وَلَا وَهْمٍ.

(أَمْ كَيْفَ أَشْكُو إِلَيْكَ حَالِي وَهِيَ لاَ تَخْفَى عَلَيْكَ) لِثُبُوتِ عِلْمِكَ أَزَلًا وَأَبَدًا لِأَنَّ عِلْمَكَ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى عِلَّةٍ، (أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ لَكَ بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ إِلَيْكَ) فَأَنْتَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَرْجَمَتِهِ؛ إِذْ لَيْسَ ثَمَّ مَا لَمْ تَعْلَمْهُ، وَإِنَّـمَا شَكْوَانَا عَائِدَةٌ إِلَيْنَا، وَتَرَاجِمُنَا

تُحَقِّقُ مَا لَدَيْنَا مِنَ الفَقْرِ وَالعَجْزِ وَالذِّلَّةِ.

(أَمْ كَيْفَ تَخِيبُ آمَالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ) حَاشَى كَرَمُكَ وَإِحْسَانُكَ وَطَوْلُكَ وَامْتِنَانُكَ، حَاشَى لِفَضْلِكَ أَنْ تُخَيِّبَ رَجَاءَنَا، الفَضْلُ أَكْثَرُ، وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ.

(أَمْ كَيْفَ لاَ تَحْسُنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ) هَذِهِ أَحْوَالُ العَارِفِينَ، وَمَوَارِدُ الطَّالِبِينَ، لَا يَلْوُونَ عَلَى غَيْرِ مَوْلَاهُمْ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَّا إِلَيْهِ فِيمَا يَتَوَلَّاهُمْ. قَالَ بَعْضُهُمْ: «أَوَّلُ مَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ عِنْدَ شَدَائِدِكَ هُوَ رَبُّكَ، فَٱنْظُرْ مَنْ تَقْصِدُ فِي شَدَائِدِكَ».

(إِلَهِي، مَا أَلْطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي) حَتَّى دَبَّرْتَ لِي مَصَالِحَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا قَبْلَ وُجُودِي، (وَمَا أَرْحَمَكَ بِي مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي) إِذْ مَنَحْتَنِي مِنْ خَيْرِكَ، مَعَ إِقْرَارِي عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ، فَلَمْ تَمْنَعْنِ رِزْقَكَ إِذْ لَمْ أُوَفِّ حَقَّكَ.

(إِلَهِي، مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي) بِالإِحَاطَةِ وَالعِلْمِ، (وَمَا أَبْعَدَنِي عَنْكَ) حَيْثُ اشْتَغَلْتُ بِمَا مَنَنْتَ بِهِ ظَاهِرًا حَتَّى لَمْ أَفْهَمْ مِنْهُ مَعْنًى بَاطِنًا، فَحَصَلَ بُعْدِي عَنْ وَجْهِ قُرْبِي.

(إِلَهِي، مَا أَرْأَفَكَ بِي) إِذْ عَلِمْتَ عَدَمَ صَبْرِي عَنْكَ، فَأَظْهَرْتَ لِي فِي كُلِّ طَوْرٍ مَا يُوصِلُنِي إِلَيْكَ، (فَمَا الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ) وَأَنْتَ الظَّاهِرُ بِرَأْفَتِكَ لِي فِي كُلِّ طَوْرٍ وَنَفَسٍ وَحَالٍ.

(إِلَهِي، قَدْ عَلِمْتُ بِٱخْتِلاَفِ الآثَارِ) أَيْ: آثَارِ القُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ فِي أَعْيَانِ المَوْجُودَاتِ (وَتَقَلُّبَاتِ الأَطْوَارِ) فِي جَمِيعِ الحَالاَتِ (أَنَّ مُرَادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى لاَ أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ) فَكَيْفَ يَصِحُّ حَجْبِي عَنْكَ بِشَيْءٍ؟! هَذَا مَا لَا تَفْهَمُهُ العُقُولُ، وَلَا تُوَافِقُهُ النُّقُولُ، إِنَّمَا الأَمْرُ كُلُّهُ عَائِدٌ إِلَيْكَ، يَا مَنْ حُجِبَ بِالوَصْفِ، وَظَهَرَ بِالكَشْفِ، فَكَانَ حَجْبُهُ بِظُهُورٍ، وَظُهُورُهُ بِعَيْنِ مَا تَحَجَّبَ بِهِ.

(إِلَهِي، كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي) فَقُلْتُ: أَنَا الـمُسِيءُ الـمُذْنِبُ الخَاطِئُ الجَانِي، (أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ) مَعَ العِلْـمِ بِأَنَّكَ لَا تَتَضَرَّرُ بِعِصْيَانِي؛ إِذْ صِفَةُ الحَادِثِ لَا وُجُودَ لَهَا عِنْدَ ظُهُورِ صِفَةِ القَدِيمِ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ؟!

(وَكُلَّمَا آيَسَتْنِي أَوْصَافِي، أَطْمَعَتْنِي مِنَّتُكَ) فَالإِيَاسُ مِنْكَ

مُحَالٌ ، وَلَا أَبْرَحُ عَنْ بَابِكَ مَدَى الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ، إِنْ ذَكَرْتُكَ طَمِعْتُ وَافْتَقَرْتُ ، وَإِنْ ذَكَرْتُ نَفْسِي ٱزْدَجَرْتُ وَٱنْكَسَرْتُ .

(إِلَهِي، مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ مَسَاوِيهِ مَسَاوِي، وَمَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِي، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي) إِذْ أَصْلُهُ وَفَصْلُهُ النَّقْصُ ، فَلَا تَصِحُّ لَهُ حَقِيقَةٌ وَلا تَثْبُتُ لَهُ دَعْوًى مِنْ حَيْثُ هُوَ ، بَلْ مِنْ حَيْثُ مَوْلَاهُ .

(إِلَهِي، حُكْمُكَ النَّافِذُ) فِي المَوْجُودَاتِ ، (وَمَشِيئَتُكَ القَاهِرَةُ) لِجَمِيعِ الكَائِنَاتِ ، (لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالاً) فَيَدَّعِي شَيْئًا مَعَ وُجُودِهَا ، (وَلاَ لِذِي حَالٍ حَالاً) فَيَسْكُنُ لِحَالِهِ وَيَسْتَحْسِنُهَا ، بَلْ يَرَى كُلَّ دَعْوًى مِنْهُ - وَإِنْ صَحَّتْ - بَاطِلَةً ؛ إِذْ لَا شَيْءَ لَهُ ، وَكُلَّ حَالَةٍ زَائِلَةً ؛ إِذْ لَا بَاقِيَ عَلَى الحَقِيقَةِ سِوَى مَوْلَاهُ .

(إِلَهِي، كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا، وَحَالَةٍ شَيَّدْتُهَا) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا المُوصِلَةُ إِلَيْكَ ، وَالمُحَصِّلَةُ لِمَا لَدَيْكَ ، فَلَمَّا اسْتَبَانَ لِي عِلْمُ الطَّرِيقَةِ وَفَهِمْتُ التَّحْقِيقَ (هَدَمَ ٱعْتِمَادِي عَلَيْهَا عَدْلُكَ) إِذْ نَظَرْتُ

إِلَيْهِ فَعَلِمْتُ أَنَّ أَفْعَالِي لَا تَحْكُمُ عَلَى أَفْعَالِكَ، وَلَا تُسَاوِي عِنْدَ الْمُوَازَنَةِ شُكْرَ أَدْنَى جُزْءٍ مِنْ أَفْضَالِكَ، (بَلْ أَقَالَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ) إِذْ رَدَّنِي شُهُودُ عَدْلِكَ إِلَى الْٱعْتِمَادِ عَلَى جَمِيلِ إِحْسَانِكَ وَفَضْلِكَ.

(إِلَهِي، إِنَّكَ تَعْلَمُ وَإِنْ لَمْ تَدُمِ الطَّاعَةُ مِنِّي فِعْلًا جَزْمًا) كَمَا هِيَ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُ عِنَايَةُ التَّخْصِيصِ حَتْمًا، (فَقَدْ دَامَتْ مَحَبَّةً وَعَزْمًا) وَهَذَا عَلَمٌ لِمَنْ قَسَمْتَ لَهُ فِي السَّعَادَةِ سَهْمًا؛ إِذْ نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، فَحَقِّقْ لِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ، يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ.

(إِلَهِي،كَيْفَ أَعْزِمُ وَأَنْتَ الْقَاهِرُ) إِلَّا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَبِمَا تُفِيضُ عَلَى وُجُودِي بِرَحْمَتِكَ، (وَكَيْفَ لَا أَعْزِمُ وَأَنْتَ الْآمِرُ) وَذَلِكَ وَاجِبُ حَقِّ شَرِيعَتِكَ، فَلَا وَجْهَ لِلْإِحْجَامِ إِلَّا بِالاسْتِعَانَةِ بِكَ وَالاعْتِمَادِ عَلَيْكَ، فَيَسِّرْ أَمْرِي فِي ذَلِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(إِلَهِي، تَرَدُّدِي فِي الْآثَارِ) مِنْ حَيْثُ هِيَ (يُوجِبُ بُعْدَ الْمَزَارِ)

إِذْ رَجَعْتُ لِـمِثْلِـي، (فَٱجْمَعْنِي عَلَيْكَ) مِنْ حَيْثُ أَنْتَ (بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ) إِذْ هِيَ مِنْكَ وَإِلَيْكَ فِي ظَاهِرِ الأَمْرِ وَبَاطِنِ الوَصْفِ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا.

(إِلَهِي، كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ؟! أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرَ لَكَ؟!) بَلْ أَنْتَ الظَّاهِرُ، وَمُظْهِرُ المَظَاهِرِ، كَمَا قِيلَ:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ ... وَأَنْتَ الَّذِي أَشْهَدْتَهُ كُلَّ

(مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟! وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ؟!) بَلْ أَنْتَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَا يَخْفَى وُجُودُكَ؛ لِأَنَّكَ أَصْلُ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُدَبِّرُ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَيٍّ، وَمِنْ شَرْطِ الدَّلِيلِ أَنْ يَكُونَ أَوْضَحَ مِنَ الـمَدْلُولِ، وَمِنْ شَرْطِ الوَسِيلَةِ أَنْ تَكُونَ أَقْرَبَ مِنَ الـمُتَوَسَّلِ إِلَيْهِ، وَلَا أَظْهَرَ مِنْ وَاجِبِ الوُجُودِ، وَلَا أَقْرَبَ مِنْ مُدَبِّرِ كُلِّ مَوْجُودٍ.

(إِلَهِي، عَمِيَتْ عَيْنٌ لاَ تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيبًا) فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ

وَلَا إِلَى سَبَبٍ مُوصِلٍ؛ لِظُهُورِكَ عَلَيْهَا بِإِحَاطَةِ القَيُّومِيَّةِ وَشَوَاهِدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

(وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا) حَتَّى يُؤْثِرَكَ عَلَى مَا سِوَاكَ، وَلَا يَشْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا إِيَّاكَ؛ لِٱسْتِغْرَاقِهِ عَنْ عَوَالِمِهِ بِمُشَاهَدَةِ جَمَالِكَ وَمُعَايَنَةِ جَلَالِكَ.

(إِلَهِي، أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ) إِثْبَاتًا لِحِكْمَتِكَ، وَإِظْهَارًا لِعَجْزِ خَلْقِكَ، وَغَيْرَةً عَلَى جَلَالِكَ أَنْ يُعْرَفَ بِلَا وَاسِطَةٍ فَيَكُونَ مُبْتَذَلًا، (فَأَرْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكُسْوَةِ الأَنْوَارِ وَهِدَايَةِ الاَسْتِبْصَارِ) حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي اقْتِدَاءً بِنَبِيِّكَ، وَ(حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا) إِذْ دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا طَلَبًا لِلتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَأَرْجِعُ إِلَيْكَ مِنْهَا قِيَامًا بِحَقِّ الجَلَالِ، فَأَكُونَ (مَصُونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا) فِي الأَفْعَالِ وَالأَحْوَالِ وَالأَقْوَالِ، (وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاعْتِمَادِ عَلَيْهَا) بِكُلِّ وَجْهٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تَجْمَعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَنَقِيضِهِ، لَكِنْ لَا عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، فَتُشْهِدُ حِكْمَتَكَ

فِي عَيْنِ قُدْرَتِكَ، يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ.

## خَاتَمُ الخَيرِ

(وَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِلَهِي، هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ) إِذْ لَا غِنًى لِي وَلَا عِلْمَ، حَسَبَمَا ثَبَتَ مِنْ إِفْلَاسِي مِنْهُمَا فِيمَا تَقَدَّمَ، (وَهَذَا حَالِي لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ) لِعُمُومِ عِلْمِكَ بِجُزْئِيَّاتِ أَمْرِي، وَٱخْتِلَافِ تَدْبِيرِكَ فِي وُجُودِ سِرِّي وَجَهْرِي، (مِنْكَ أَطْلُبُ الْوُصُولَ إِلَيْكَ، وَبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ) إِذْ لَا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْكَ بِغَيْرِكَ، وَأَمْرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِيَدِكَ، (فَٱهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ) وَهُوَ مَا تُؤَيِّدُنِي بِهِ مِنَ ٱلْاعْتِمَادِ عَلَيْكَ، (وَأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ) إِذْ لَا قُدْرَةَ لِي عَلَى القِيَامِ بِشَيْءٍ دُونَكَ، وَحَقِّقْ لِي ذَلِكَ بِأَنْ أَرَى وَصْفِيَ النَّاقِصَ عَنْ شُهُودِ كَمَالِ وَصْفِكَ.

(إِلَهِي، عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ) الَّذِي عَلَّمْتَ مِنْهُ أَوْلِيَائِكَ، حَتَّى رَأَوْا وَصْفَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلُطْفَكَ عَامًّا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، (وَصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ المَصُونِ) الَّذِي صُنْتَهُمْ بِهِ عَنْ رُؤْيَةِ غَيْرِكَ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِكَ.

(إِلَهِي، حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ الْقُرْبِ) الَّذِينَ تَحَقَّقُوا قُرْبَهُمْ فِي عَيْنِ بُعْدِهِمْ عَنْكَ، (وَٱسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الْجَذْبِ) الَّذِينَ لَمْ يُعَرِّجُوا عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا لِـمَنْ عَدَاكَ، فَٱعْتَمَدُوا عَلَى نَعْتِ حُسْنِ الظَّنِّ بِجَلَالِكَ قَائِلِينَ:

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّنِي أَرَى بَجَمِيـلِ الظَّـنِّ مَـا ٱللهُ

(إِلَهِي، أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ لِي عَنْ تَدْبِيرِي) حَتَّى لَا أَدَّعِيَ شَيْئًا، وَلَا أَتَكَلَّفَ وُجُودَ شَيْءٍ بِوَجْهٍ وَلَا بِحَالٍ، (وَبِٱخْتِيَارِكَ لِي عَنِ ٱخْتِيَارِي) حَتَّى لَا أَسْتَحْسِنَ شَيْئًا وَلَا أَخْتَارَهُ؛ لِعِلْمِي بِأَنَّكَ الفَاعِلُ المُخْتَارُ، (وَوَقِّفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ ٱضْطِرَارِي) حَتَّى أَعْلَمَ أَنِّي مُضْطَرٌّ فَقِيرٌ عَاجِزٌ فَلَا يُمْكِنَ مِنِّي ٱدِّعَاءٌ لِشَيْءٍ وَلَا تَعْوِيلٌ عَلَى شَيْءٍ.

(إِلَهِي، أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي، وَطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وَشِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي) فَأَكُونُ لَكَ وَبِكَ أَيَّامَ حَيَاتِي، وَسُرُورِي بِكَ فِي مَحْيَايَ وَمَـمَاتِي.

(إِلَهِي، بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَانْصُرْنِي) فَإِنَّهُ لَا يُضَامُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ،

(وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلاَ تَكِلْنِي) فَإِنَّكَ كَافٍ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ، (وَإِيَّاكَ أَسْأَلُ فَلاَ تُخَيِّبْنِي) وَكَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي، مَنِ ٱنْتَسَبَ لِـمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ لَا يَضِيعُ، فَكَيْفَ بِمَنِ ٱنْتَسَبَ إِلَى حِمَاكَ المَنِيعِ؟! (وَفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ فَلاَ تَحْرِمْنِي) وَفَضْلُكَ أَوْسَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، (وَلِجَنَابِكَ أَنْتَسِبُ فَلاَ تُبْعِدْنِي) وَإِنْ كَانَ مِنِّي مَا يُوجِبُ إِبْعَادِي، فَأَنْتَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتَعَاظَمَهُ شَيْءٌ، (وَبِبَابِكَ أَقِفُ فَلاَ تَطْرُدْنِي) وَإِنْ كُنْتُ مُسْتَحِقًّا لِلطَّرْدِ، فَنَزِيلُ الكِرَامِ لَيْسَ يُضَامُ.

(إِلَهِي، تَقَدَّسَ رِضَاكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي) وَأَنَا طَلَبِي مِنْكَ عُبُودِيَّةٌ، لَا تَحَكُّمٌ وَلَا تَعْلِيلٌ لِأَحْكَامِ الرُّبُوبِيَّةِ.

(أَنْتَ الْغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ) لِأَنَّكَ الغَنِيُّ عَلَى الإِطْلَاقِ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ ٱفْتِقَارُكَ بِكُلِّ وَجْهٍ، (فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ غَنِيًّا عَنِّي) وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنِّي، فَبِثُبُوتِ فَقْرِي لَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَغِنَاكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، ٱغْنِنِي بِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ،

حَتَّى لَا أَرَى غَيْرَكَ شَيْئًا.

(إِلَهِي، إِنَّ القَضَاءَ وَالقَدَرَ غَلَبَانِي) وَهَذَا مِنِّي اعْتِرَافٌ بِأَحْكَامِ الرُّبُوبِيَّةِ، (وَإِنَّ الْهَوَى بِوِثَاقِ الشَّهَوَاتِ أَسَرَنِي) وَهَذَا قِيَامٌ بِحَقِّ العُبُودِيَّةِ، (فَكُنْ أَنْتَ النَّصِيرَ لِي) عَلَى هَوَايَ وَشَهْوَتِي حَتَّى أُفَكَّ مِنْ أَسْرِهِ، وَكَمِّلْ ذَلِكَ لِي (حَتَّى تَنْصُرَنِي وَتَنْصُرَ بِي) إِذْ لَيْسَ الرَّجُلُ مَنْ كَمُلَ فِي نَفْسِهِ، بَلِ الَّذِي كَمُلَ بِهِ غَيْرُهُ، (وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْ طَلَبِي) فَلَا أَطْلُبَ شَيْئًا ٱكْتِفَاءً بِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَجَدُوكَ) بِلَا وَاسِطَةٍ مِنْهُمْ، (وَأَنْتَ الَّذِى أَزَلْتَ الأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى غَيْرِكَ، أَنْتَ الْمُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمُ الْعَوَالِمُ) فَلَمْ يُعَوِّلُوا عَلَيْهَا، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا بِوَجْهٍ وَلَا بِحَالٍ، (وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ حَتَّى اسْتَبَانَتْ لَهُمُ المَعَالِمُ) مَعَالِمُ الطَّرِيقِ المُوصِلَةُ إِلَى وُجُودِ التَّحْقِيقِ؛ لِمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ بَاهِرِ الجَمَالِ الَّذِي عَمَّ الوُجُودَ بِكُلِّ حَالٍ.

(مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ) إِذْ مَا سَوَى اللهِ عَدَمٌ، (وَمَاذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ) لِأَنَّ الوُجُودَ الحَقَّ وَالنُّورَ الـمُتَحَقِّقَ إِنَّمَا هُوَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، كَمَا قَالَ «أَبُو بَكْرٍ الدَّقَّاقُ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَنْفَعُهُمُ الوُجُودُ إِذَا اللهُ فَاتَهُمْ، وَلَا تَضُرُّهُمُ الفَاقَةُ؛ إِذِ اللهُ وُجُودُهُمْ».

(لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِي دُونَكَ بَدَلًا، وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوَّلًا) مَعْنَاهُ بَيِّنٌ مِمَّا تَقَدَّمَ وَأَنَّ مَا سِوَى اللهِ عَدَمٌ.

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا:

سَهَرُ العُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ     وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ ضَائِعٌ

فَلَمْ يَبْقَ لِـمَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ إِلَّا الخَيْبَةَ وَالخُسْرَانَ وَالهَوَانَ وَالخُذْلَانَ، وَلِهَذَا قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَالـمُتَعَجِّبِ مِمَّنْ هَذَا وَصْفُهُ: (كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وَأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإِحْسَانَ؟! وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الامْتِنَانِ؟!) بَلْ هَذَا أَعْجَبُ مِنْ كُلِّ عَجِيبٍ حَيْثُ عَمَّ بِالإِحْسَانِ وَالامْتِنَانِ أَهْلَ الطَّاعَةِ وَأَهْلَ العِصْيَانِ، سُبْحَانَ الكَرِيمِ الرَّحْمَانِ.

(يَا مَنْ أَذَاقَ أَحِبَّاءَهُ حلاَوَةَ مُؤَانَسَتِهِ فقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ)

التَّـمَلُّقُ: التَّطَلُّفُ فِي التَّوَدُّدِ، وَرَتَّبَهُ عَلَى ذَوْقِهِم لِـحَلاَوَةِ الـمُؤَانَسَةِ حَيْثَ ذَهَبَ عَنْ قُلُوبِهِمُ الالْتِفَاتُ إِلَى الأَغْيَارِ فَلَـمْ يَرَوْا سِوَاه.

(وَيَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلاَبِسَ هَيْبَتِهِ فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ مُسْتَعِزِّينَ)

اسْتِعْزَازُهُمْ بِعِزَّتِهِ رَفْعُ هِمَمِهِمْ عَنِ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ تِيهًا وَتَكَبُّرًا لِـمَا أَشْرَقَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ شَوَارِقِ أَنْوَارِهِ، فَتَعَلَّقَ الأَحْبَابُ بِأُنْسِهِ، وَالأَوْلِيَاءُ بِعِزَّتِهِ وَهَيْبَتِهِ، فَهُمْ يَقُولُونَ بِكُلِّ لِسَانٍ: (أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قَبْلِ ذِكْرِ الذَّاكِرِينَ) إِذْ لَوْلَا ذِكْرُكَ إِيَّاهُمْ مَا ذَكَرُوكَ، (وَأَنْتَ البَادِئُ بِالإِحْسَانِ مِنْ قَبْلِ تَوَجُّهِ العَابِدِينَ) إِذْ لَوْلَا فَضْلُكَ مَا عَبَدُوكَ، (وَأَنْتَ الجَوَادُ بِالعَطَاءِ مِنْ قَبْلِ طَلَبِ الطَّالِبِينَ) إِذْ لَوْلَا سَابِقُ مِنَّتِكَ مَا تَهَيَّأَ لَهُمْ وُجُودُ الطَّلَبِ مِنْكَ، إِذْ لَا عِلَّةَ لِفَضْلِكَ، (وَأَنْتَ الْوَهَّابُ، ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا مِنَ الْمُسْتَقْرِضِينَ) رَحْمَةً مِنْكَ بِعَبِيدِكَ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: «مَلَّكَكَ، ثُمَّ اشْتَرَى مِنْكَ، ثُمَّ اسْتَقْرَضَ مِنْكَ وَوَعَدَكَ مِنَ الثَّوَابِ أَضْعَافًا لِيُثْبِتَ

لَكَ نِسْبَةً مَعَهُ» ، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

(إِلَهِي، ٱطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ) لَا سَبِيلَ لِوُصُولِ العَبْدِ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِلَّا بِرَحْمَتِهِ، فَلِهَذَا طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَطْلُبَهُ بِهَا، (وَٱجْذِبْنِي بِمِنَّتِكَ حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ) فَأَكُونَ بِكَ بَدْءًا وَعَوْدًا، فَلَا أَزَالُ عَنْ وُجُودِ غَيْرِكَ حُرًّا.

(إِلَهِي، إِنَّ رَجَائِي لاَ يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَإِنْ عَصَيْتُكَ) لِعِلْمِي بِأَنَّ أَوْصَافِي لَا تَقْضِي عَلَى أَوْصَافِكَ، فَمِنْ أَوْصَافِكَ الكَرَمُ المُطْلَقُ، (كَمَا أَنَّ خَوْفِي لاَ يُزَايِلُنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ) إِذْ مِنْ أَوْصَافِ جَلَالِيَّتِكَ أَيْضًا الانْتِقَامُ.

(إِلَهِي، قَدْ دَفَعَتْنِي العَوَالِمُ إِلَيْكَ) لِعَجْزِهَا وَضَعْفِهَا فَدَلَّتْنِي عَلَيْكَ، (وَقَدْ أَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ عَلَيْكَ) أَيْ عِلْمِي الَّذِي اسْتَفَدْتُهُ مِنَ العَوَالِمِ بِأَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ شَيْئًا لَوْلَا أَنْتَ.

(إِلَهِي، كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي) الَّذِي آمُلُهُ لِجَمِيعِ شَدَائِدِي وَحَوَائِجِي؟! (أَمْ كَيْفَ أُهَانُ وَعَلَيْكَ مُتَّكَلِي؟!) لَمَّا تَعَلَّقَ بِاللهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ اسْتَبْعَدَ أَنْ يَخِيبَ أَمَلُهُ أَوْ يَنَالَهُ هَوَانٌ يَؤُودُهُ

تَـحَمُّلُهُ.

(إِلَهِي، كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَفِي الذِّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي) أَيْ ذِلَّةِ العُبُودِيَّةِ، فَقَدْ جَعَلْتَنِي فَقِيرًا إِلَى مُفْتَقِرٍ مِثْلِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، (أَمْ كَيْفَ لاَ أَسْتَعِزُّ وَإِلَيْكَ نَسَبْتَنِي) إِذْ جَعَلْتَنِي عَبْدَكَ، وَأَسْجَدْتَ لِأَبِي مَلاَئِكَتَكَ، وَمَنْ أَنَا لَوْلَا أَنْتَ ؟!.

قِيلَ: أَصْبَحَ «عُتْبَةُ الغُلاَمُ» يَوْمًا يَتَبَخْتَرُ فِي حُلَّةٍ، فَقَالَتْ لَهُ «رَابِعَةُ»: مَا هَذَا الزَّهْوُ الَّذِي لَمْ أَرَهُ فِي شَمَائِلِكَ قَبْلَ اليَوْمِ؟ قَالَ: وَمَنْ أَوْلَى مِنِّي بِذَلِكَ وَقَدْ أَصْبَحْتُ لَهُ عَبْدًا وَأَصْبَحَ لِي رَبًّا.

(إِلَهِي، كَيْفَ لاَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي فِي الفَقْرِ أَقَمْتَنِي) إِذْ خَلَقْتَنِي عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا أَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، (أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي) إِذْ كُنْتَ لِيَ الكَفِيلَ بِكُلِّ شَيْءٍ، أَشْهَدُ أَنَّكَ (أَنْتَ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ) فَلَا مَعْبُودَ سِوَاكَ، (تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ) بِوُجُودِ تَأْثِيرِكَ فِيهِ (فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ) لِظُهُورِ أَثَرِ صِفَاتِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، (وَأَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ) إِذْ أَظْهَرْتَ كُلَّ

شَيْءٍ، (فَرَأَيْتُكَ ظَاهِرًا فِي كُلِّ شَيءٍ، فَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ) وَفِي كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، (يَا مَنِ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ) فَكَانَ الاسْتِوَاءُ لِلرَّحْمَانِيَّةِ بِمَعْنَى الظُّهُورِ، لَا لِلذَّاتِ الكَرِيمَةِ؛ لِاسْتِحَالَةِ وُجُودِ الجِهَةِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، (فَصَارَ العَرْشُ غَيْبًا فِي رَحْمَانِيَّتِهِ) فَمَا هُوَ إِلَّا كَذَرَّةٍ مِنَ الذَّرَّاتِ، لَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُ، وَلَا يَكْبُرُ عَلَيْهِ إِيجَادُهُ وَلَا إِعْدَامُهُ، (كَمَا صَارَتِ العَوَالِمُ غَيْبًا فِي عَرْشِهِ) فَلَا نِسْبَةَ لِوُجُودِهَا مَعَهُ.

(مَحَقْتَ الآثَارَ بِالآثَارِ) فَغَيَّبْتَ الأَكْوَانَ فِي العَرْشِ بَعْدَ أَنء غَيَّبْتَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، (وَمَحَوْتَ الأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفْلَاكِ الأَنْوَارِ) فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَغْيَارِ وُجُودٌ عِنْدَ ظُهُورِ الأَنْوَارِ، كَمَا لَمْ يَبْقَ لِلْعَرْشِ وُجُودٌ عِنْدَ ظُهُورِ الحَقِّ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَانِيَّةِ.

(يَا مَنِ احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ) عِزَّةُ اللهِ اقْتَضَتْ كَوْنَ كُلِّ ما سِوَاهُ مَحْجُوبًا عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ العَزِيزَ مَعْنَاهُ الـمَنِيعُ.

وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا يَتْرَقِي إِلَيْهِ وَهْمٌ طَمَعًا فِي تَقْدِيرِهِ، وَلَا

يَسْمُو إِلَى صَمَدِيَّتِهِ فَهْمٌ قَصْدًا إِلَى تَصْوِيرِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنْ ضَلَّتِ العُقُولُ فِي بَحْرِ تَعْظِيمِهِ، وَحَارَتِ الأَلْبَابُ دُونَ إِدْرَاكِ نَعْتِهِ، وَكَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنِ اسْتِيفَاءِ مَدْحِ جَلَالِهِ وَوَصْفِ جَمَالِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣).

وَذِكْرُ السُّرَادِقَاتِ مُضَافَةً إِلَى «عِزَّةِ» وَٱحْتِجَابُهُ بِهَا مَجَازٌ حَسَنٌ، وَاللهُ أَدْرَكَتْهُ العُقُولُ المُنِيرَةُ وَالبَصَائِرِ المُنَوَّرَةُ إِدْرَاكَ الوَصْفِ مِنْ حَيْثُ لَا دَرْكَ وَلَا كَيْفَ.

(يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتَهُ الأَسْرَارُ) كَمَالُ بَهَائِهِ: هُوَ مَحَاسِنُ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتَهُ إِذْ رَأَتْهُ مُسْتَغْرِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ، مُعَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَ ظُهُورِهِ.

(كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؟! أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ

---

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٦)

الحَاضِرُ؟! وَاللهُ المُوَفِّقُ، وَبِهِ أَسْتَعِينُ) قَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ مِنْ كَلَامِ الـمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

دار الإمام ابن عرفة
تونس